

مميزات العمارة السكنية بالقصور الصحراوية بالجزائر (مساكن قصر تمنطيط نموذجاً)

أ. هجيرة تمليكشت*

الملخص:

تميزت المساكن الصحراوية بعدة خصائص هذه المميزات التي تبدو مختلفة في شكلها العام و التي فرضتها عليها طبيعة المنطقة لما تتميز به من مناخ حار و ما تتوفر عليه من مواد بناء محلية، إلا أنها لم تختلف جوهرياً عن باقي المساكن الإسلامية التي استمدت من شريعتنا الإسلامية، و ذلك بتوفر كل المرافق المعيشية و عدم تجاوز حدود الشرع "لا ضرر و لا ضرار" و سوف نحاول تسليط الضوء على احد هذه المعالم المتمثلة في العمارة السكنية و التي تشكلها عناصر القصر و اخترنا كنموذج المسكن بقصر تمنطيط التابع لإقليم التوات^١ بالجنوب الجزائري ، و قبل ان نتطرق لدراسته يتعين علينا تحديد الاطار الجغرافي و التاريخي للموقع مع تقديم تعريف وجيز عن القصور الصحراوية التي تتواجد بها هذه المساكن.

الموقع:

تقع المساكن موضوع الدراسة بقصر **تمنطيط**^٢، و هي حالياً تابعة لولاية ادرار بالجنوب الجزائري، يحدها شمالاً ولاية البيض و من الغرب ولاية بشار و من الشرق ولاية غرداية و من الجنوب جمهورية مالي و موريتانيا (انظر الخريطة رقم ٠١). من الصعب علينا تتبع خطوات الاتصال المبكر لمنطقة توات نظراً لما يحيط بها من غموض كونها كانت في نظر قاصديها منطقة صعبة تضاريسياً و مناخياً، زيادة عن قصص الخيال و الأساطير التي حيكت حول تاريخ المنطقة.

* معهد الآثار_جامعة الجزائر

^١ اختلفت الآراء حول أصل تسمية توات وتعني وجع الرجل في لغة السلطان مالي كنان موسى، يرى السعدي أن أصل الكلمة يرجع إلى "وا" أو "واه"، وهي موجودة في عدة لغات: العربية، القبطية واليونانية، وتعني بالزناتية المكان، وأضاف البربر التاء في الأخير للمفردة. أنظر: عبد الرحمان السعدي: **تاريخ السودان**. باريس ١٩٦٤، ص ٠٧.

أما محمد بن عبد الكريم البكري يرى: "أن أصل التسمية مشتق من الأتوات وهي الضرائب التي كانت تؤخذ من أهل الصحراء" أنظر محمد بن عبد الكريم البكري، **درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام**. مخطوط موجود بخزانة المطارفة، ص ٠٦.

^٢ تعتبر المدينة الثانية المكونة لإقلية توات لاكتظاظها بالسكان والقصور والأسواق التجارية على حد قول بابا حيدة: "اسم تمنطيط أعجمي يقال أنه مركب من قسمين وهما: "اتمانط" ومعناها إنما النهاية، معناها العين بالعربية فتركب القسمان وحذف الألف في آخر "اتما" وفي أول "تط" فأصبح الاسم خفيف "التمنطيط". أنظر مخطوط القول البسيط في أخبار تامنطيط للشيخ محمد ابن الطيب الحاج، ص ١٤.

فالمؤرخ اليوناني هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد يصفها على أنها مناطق خيالية وقاحلة^٣.

أما عن الرحالة والجغرافيين العرب: فيقول "ابن بطوطة"^٤: "وصلنا بودة وهي أكبر قرى توات وأرضها رمال وسبخ... لا زرع بها ولا سمن ولا زيت...". كما يصفها "حسن الوزان" فيقول: "أنها منطقة مأهولة في الصحراء بعيدة بنحو ١٢٠ ميلا شرق تسابت... بها أكثر من ١٠٠ قرية بين حدائق النخيل"^٥.

الإطار التاريخي:

عرفت منطقة توات الاستقرار البشري منذ عهود ما قبل التاريخ بدليل البقايا التي تنسب للحضارة الأشولية^٦. و أدوات حجرية تعود للعصر الحجري الحديث. كما وصلت إلينا نقوش صخرية تعود لفترة فجر التاريخ تمثل مظاهر الصيد ، وفي هذه المرحلة ظهرت الكتابة التيفناغية.

و في العصور القديمة شهدت استقرار القبائل ذات البشرة البيضاء أطلق عليها إسم الجيتول، ، كما شهد هذا الإقليم نزوح شعوب إسرائيلية ارتبط وجودها بالمنطقة بكثير من الأساطير حول حياتهم وسيطرت على الأسواق الخارجية^٧. ولم ينقطع هذا التوافد للقبائل عبر قرون طويلة أهمها: القبائل البرمكية القادمة من العراق^٨.

وخلال الفتوحات الإسلامية التي قام بها عقبة الذي استولى سنة ٤٢ هـ ٦٦٢م على واحة غدامس^٩ ورفع في ربوعها لواء الإسلام دون إسالة الدماء^{١٠}، فنجح في كسب الكثير من سكان القبائل فدخلوا في الإسلام^{١١}، بعدها شهدت المنطقة توافد القبائل

^٣ أنظر: ECHALIER : village désertiques et structures agraires ancienne. Paris 1972p17.

^٤ ابن بطوطة: تحفة النظار في غرائب الأمصار- دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت ١٩٨٠، ص٧٠٠.

^٥ حسن الوزان: وصف إفريقيا، ترجمة محمد حجي. دار الغرب الإسلامي ج ١ ط ٢ ١٩٨٣ ص١٣٣.

^٦ QUENARD : "Recherche historique dans le touat" bulletin de liaison sahionne N°02 Alger 1950.. P21.

^٧ إسماعيل العربي، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية. بيروت لبنان. ١٩٨١م، ص١٩٤..
^٨ أنظر

Watin (OI) : origine des population du touat d' après les tradition conservées dans le pays
Bultin de la socrete de géographie d'alger et de l'afrique du nord 2 eme trimestre 1905 p 213

^٩ عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ج١ طه الدار البيضاء المغرب ١٩٥٦ ص١٢٢.

^{١٠} عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح حتى نهاية الدولة الإقلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد محمد بن إدريس دار الغرب الإسلامي ط١- ١٩٨٧ بيروت لبنان ص٣٧.

^{١١} عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير دار النهضة العربية بيروت لبنان ١٩٨١ ص١٥٢.

يقول الدكتور أحمد شابي إن هجرة بن هلال وبني سليم هي أشبه بالطوفان دمرت من جانب وشيدت من جانب آخر- واستقروا بشمال إفريقيا كثير من هلالين فكتبوا بذلك رجحان الجنس

الهلالية كما ساهمت الطرق التجارية مساهمة فعالة في إعلاء كلمة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" في الجنوب^{١٢} وبذلك وصل الإسلام إلى المغرب عبر مسلكين اثنين وهما: طريق المدن والسواحل وطريق الصحراء والواحات^{١٣}.

لم تكن منطقة توات بمنأى عن الأحداث التي كانت تقع في الشمال نتيجة للصراعات التي كانت بين دولها^{١٤} فقيام الدولة المرابطية سنة ٤٦٢ هـ^{١٥} التي سرعان ما سقطت على يد الموحيين سنة ٥٤١ هـ فنتج عن ذلك انفصال القبائل المغربية إلى ثلاثة دول كبرى حكمت بلاد المغرب الإسلامي وهي: الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط، والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، ولم تكن منطقة توات بعيدة عن هذه الأحداث فكانت قبلة للنازحين في الشمال من الصراعات الدامية بحثا عن الاستقرار والأمن في القصور والواحات وكان لهذا التحول الجديد أثره الكبير على عمارة المنطقة وعمرانها خلال العصور الإسلامية، لا سيما على العمارة ومن بينها العمارة السكنية.

القصر لغة: هو المنزل، وقيل كل بيت من حجر قرشية^{١٦}، وسمي بذلك لأنه تقصر فيها الحرم أو تحبس، مصداقا لقوله تعالى "حور مقصورات في الخيام"^{١٧}، ويعرف أيضا أنه ما شيد من المنازل و علا ، و لقد ورد ذكره في القرآن الكريم "و بئر معطلة و قصر مشيد"^{١٨}

العربي واللغة العربية والدين الإسلامي بهذه المنطقة انظر موسومة التاريخ الإسلامي الإسلام جنوب صحراء إفريقيا منذ دخلها الإسلام حتى الآن ط ٥ ج ٦ ١٩٩٠ ص ١٨٧.

ويقول "مارون كارخيل" في عرب بني هلال أنهم انحدروا من قبيلة هلال، هي القبيلة الثانية عشر، أولا بنو عامر القاطنون بين تلمسان ووهران الذين يعمرن سهول كرط (تقع بمملكة فاس) كلها إلى جبال بني راشد، وينتشدون نحو ليبيا إلى صحراء تيفورارين، ويسمون حاليا المليانيين أو شرفاء مليانة. لمزيد من المعلومات أنظر "مارمول كاربخال: إفريقيا ج ١"، ترجمة محمد حجي، أحمد التوفيق. مكتبة المعارف سنة ١٩٨٤. ص ٨٣.

^{١٢} مبروك مقدم، الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي وأثره الإصلاحي. دار الغرب للنشر ج ١ ٢٠٠٢ ص ٨٢.

^{١٣} أحمد عمر الكنتي الفهري، الزوايا الكنتية. مطبوعات البركة. نيامي نيجر د ت ص ٨.

^{١٤} صالح بن قربة: أهمية تبلباله في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر الوسيط. مجلة العلوم الإنسانية. عدد ١، ٢٠٠١. ص ٩٤.

^{١٥} عبد العزيز سالم-تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية. بيروت لبنان. ١٩٨١ ص ٧٠٤.

^{١٦} ابن منظور (جمال الدين محمد)، لسان العرب، ج ٦، الدار المصرية للتأليف والترجمة ص ٤١١.

^{١٧} الآية ٧٢ من سورة الرحمن.

^{١٨} الآية ٤٥ من سورة الحج.

و يقترب هذا المفهوم من المصطلح المتداول في المصادر التاريخية، حيث يقصد به مقر الخليفة أو الحاكم و أفراد عائلته، كما كان يطلق عليه في بداية العهد الإسلامي (القرن ٢هـ/٨م) كلمة بلاط^{١٩}.

القصر الصحراوي يعرف القصر أو (القصر بسكون اللام كما هو متداول) في المناطق الصحراوية ، بقرية محصنة أو بالأحرى تكتلات سكنية متراسة و متلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي إلى أصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة، يحيط بها أحيانا سور و أحيانا تخلو تماما من مثل هذه العناصر الدفاعية التي تعوض بجدران البيوت الخارجية لتشكّل في النهاية ما يشبه السور يحيط بمختلف أرجاء المساكن.

أما الدراسات الحديثة فهي تتفق في تعريفها للقصر بأنه: "الفضاء المشترك المغلق و المقسم إلى مساحات موزعة توزيعا نوعيا الذي تخزن فيه مجموعة بشرية ، محصولها الزراعي الموسمي و تستعمله وقت السلم لممارسة نشاطاتها التربوية و الطقوسية و التجارية، و وقت الحرب للاحتماء به عند هجوم العدو." و في هذه الحالة يتشكل القصر من سور يفتح به مدخل واحد أو ما يعرف "بفم القصر" و لمزيد من الحيلة و الحذر يدعم بأبراج للمراقبة^{٢٠}.

عادة ما نجد أمام مداخل القصور مساحة واسعة تعرف بالرحبة و هي ساحة التجمع، تستغل للاستعداد لعمل حربي أو لسفر جماعي، كما تستغل لأغراض مختلفة كمحط لقوافل الجمالة الوافدين بأحمال الزرع و التمر و بضائع أخرى للتبادل، أو كموضع لتجمع حجاج الإقليم والأقاليم المجاورة، أو كمصلى تؤدي فيه صلاة العيد وكذلك صلاة النوافل حينما تستوفى شروطها كما هو شأن حفرة الركب بديار هذا الإقليم التي تجسد فيها هذا الدور منذ سنين قديمة^{٢١}.

وتحتوي القصور بداخلها على قصبة أو اثنتين محصنة، و مسجد جامع عادة ما يطلق عليه الجامع العتيق أو الجامع الكبير، علاوة على المساجد المخصصة للصلوات الخمس كما يشتمل على المرافق الضرورية من سوق دكاكين ، إلى جانب مجموعات سكنية موزعة على كل مساحات القصر. (انظر الصورة رقم ٠١)

كما يمكن أن يحتوي على مجموعة من القصور المتقاربة يشترك أهلها في الحدائق و الغابات المحيطة بهم، بينما ينفرد كل قصر بقصبته ، مثل قصر تمنطيط بأدرار و

^{١٩} د. علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية و أثرية، الجزائر، ٢٠٠٦، ص ١٦.

^{٢٠} د. علي حملاوي، المرجع السابق، ص ٢٢.

^{٢١} ويضاف إلى هذا النشاط الديني المعتاد بالموقع: إقامة صلاة العيد، وصلاة الجنازة، و فدوة البلاد وهي من العوائد السائدة في اعتقاد الأهالي وذلك لفداء الأنفس و البلاد من البلاء، حيث يقرأ القرآن ويختم من طرف القراء ويتضرعون إلى الله بالأدعية لذهاب البلاء أو التخفيف منه، وتحضر النسوة الطعام ويقدم صدقة في سبيل الله. (من الذاكرة الشعبية بالمنطقة)

تنقسم هذه المجموعات السكنية إلى أحياء انتحلت أسماءها من الخصائص الطبيعية لموقعها (مثل العرق و الكدية و الجبل) أو من القبائل التي تقطنها ، و أحيانا تنسب إلى الولي الصالح المدفون بها. أما بالنسبة للأحياء ، فقد كانت في بعض القصور منفصلة عن بعضها البعض بواسطة سور، به باب تفتح أوقات السلم وتغلق عندما تشتعل نار الفتنة ، يحتوي كل حي من الأحياء على مصلى أو مصليات لتأدية الصلوات الخمس، و يربط الأحياء ببعضها البعض مسالك و ممرات يفضل توجيهها في المناطق الحارة من الشمال إلى الجنوب لتفادي تعرضها و تعرض مداخل البيوت إلى أشعة الشمس لمدة طويلة، بالإضافة إلى أن هذا التوجيه يساعد على استقبال الرياح الشمالية المحملة نوعا ما بالرطوبة مما يؤدي إلى التخفيف من شدة الحرارة، و قد كان لكل شارع وظيفته الخاصة ، لذلك فهي تختلف في مقاساتها و تنقسم إلى ثلاثة أنواع .

_الشوارع الرئيسية أو ما تعرف لدى الفقهاء بالطرق السابلة، أو شوارع العامة.
_الشوارع الثانوية أو الطرق الفرعية، و تعرف بالسكة النافذة يتمثل دورها في التنقل من الشوارع الرئيسية إلى الدروب و الأزقة.
-الدروب أو الأزقة الغير نافذة و التي عادة ما تنتمي إلى عائلة واحدة، و تنتهي الدروب أحيانا بساحة أو رحبة تتوزع حولها البيوت، و تعرف باسم العائلة التي تسكن فيها.

خصائص و مكونات المسكن . (انظر الشكلان رقم ٠١ و ٠٢).

يغلب على المساكن الصحراوية الطابع الديني والطبيعي . كما أنها تتسم بالبساطة في بنائها مع التناسق التام، وكذا التراص والتلاصق وهذا مايكسبها الطابع الدفاعي المنغلق التي تتميز بها المنطقة المعزولة^{٢٢} كان لطبيعة المواد المستعملة ومقاومتها تأثير كبير في تحديد العلو، وقد خضعت إلى معايير منها النصوص الشرعية التي توصي الى عدم الإسراف والتبذير في نعم الله، وأيضاً احترام الجار في أن لا يعلو بناء الجار على جاره حتى لا يحجب عنه الشمس و جاءت المساكن عموماً مؤلفة من طابق وحيد وفريد و سطح به غرفة لها وظائف عديدة^{٢٣}، وقدر ارتفاع المباني السكنية بمتوسط إجمالي بثلاثة أمتار ونصف، حيث كان في هذا الميدان العرف هو سيد الموقف على ضوء القاعدة الشرعية من الحديث النبوي الشريف (لا ضرر ولا ضرار)، فكانت بذلك وقاية لحرمة الجار مع جاره والاستفادة من الحق الطبيعي من الهواء والشمس، ومن الفضاء الخارجي للاستمتاع بفضاء السماء وزينتها.

²² Duveyrier (H.), *Sahara Algérien et Tunisie*, Paris 1955 .pp. 23.

^{٢٣} - فمن وظائف هذه الغرف :- استغلالها صيفا للنوم والجلوس وحفظ الأفرشة والأغطية وحفظ المجففات الغذائية.

و لدراسة ذلك تفصيلا لا بد من دراسة تخطيط هذه المساكن من منطلق عدة نقاط تتمثل في: المساحة_ ملامح التخطيط_ توزيع الوحدات_ الامتداد الرأسي.

المساحة:

حددت مساحة المسكن من تعدد الوحدات بداخله من ذلك ان المستوى الأرضي خصص عموما للمرافق المعيشية من غرفة النوم، غرفة الاستقبال ، المطبخ و تفتح هذه المرافق على صحن احيانا يكون مكشوف و غالبا ما يكون مسقوف في مساكن ذات طابق الذي يعلوه السطح بالطابق الأول ، و عادة ما يشمل هذا الطابق على مخازن، و مرحاض (انظر الشكل رقم ٢٠).

التوجيه: في اطار التحقيق المتكامل لمنع ضرر الكشف باتت الحاجة ملحة الى وقاية اهل الدار من عيون زائريها من الغرباء عند استقبالهم ضيوفا و من ثم وجه تخطيط الدار توجيها خاصا يحقق هذه الوقاية و يبدأ هذا التوجيه من المدخل في هيئة منكسرة لا تمكن من بالباب الخارجي^{٢٤} من رؤية من بالداخل في الفناء و تعطي فرصة لمن بالفناء من ان يحجب نفسه عن عيون الداخلين الى الدار^{٢٥}.

وزيادة في منع ضرر الكشف ،وبالإضافة الى تحقيق الخصوصية كان للمناخ دوره البارز في التوجيه سواء بالنسبة للدور او شبكة الطرق التي تطل عليها حيث روعي في توجيهها أن تتناسب و حركة الشمس و الرياح لما لذلك من دور بارز في اعتدال المناخ بداخلها.

و بالنسبة للتوجيه الخارجي للمنازل فالملاحظ ان جميعها يميل الى ان تكون الواجهة شمالية-غربية خاصة ان هذا الاتجاه يتناسب واتجاه الرياح، و عدم مواجهة هذه الواجهات لأشعة الشمس خاصة في فترة القيلولة و التي تكون فيها أشعة الشمس عمودية على الأرض ،كما ان هذا التوجيه يمكن من استقبال هبوب الرياح الشمالية و التي تؤدي بالتالي الى تخفيف درجة الحرارة.

وكان من أثر وجود الفناء الإقلال من عدد النوافذ التي تطل على الطوابق و التي تؤدي بالتالي الى ضرر الكشف حيث يلاحظ ان المستوى الأرضي يتميز بصغر حجم نوافذه و فتحها اسفل السقف مباشرة،بينما نوافذ الطوابق العليا فكانت ايضا تأخذ اتجاهها الى الداخل قدر الإمكان^{٢٦}. و قد كان الفناء الداخلي من انجح الحلول المعمارية في المناطق الصحراوية لما يتيح من استخدام مبدأ الانفتاح على الداخل، كما يلاحظ ان الفناء يساعد على توليد حركة الهواء^{٢٧}.

^{٢٤} يتم غلق الباب باستعمال مفتاح خشبي به عدة اسنان يدخل في ثقب مجوف في الجدار 'كوة' تعرف محليا ب(أفكر).

^{٢٥} محمد عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البنين لابن الرامي، ص ٦٩-٧٠.

^{٢٦} سعد عبد الكريم شهاب، انماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، ط١، مصر، ٢٠٠٩م، ص ٢١٢.

^{٢٧} سعد عبد الكريم شهاب، المرجع السابق، ص ٢١٤.

الحواصل: تعتبر من الوحدات المهمة للتخطيط بالمساكن الصحراوية لما لها من أهمية خاصة وقد تركزت جميعها في الطابق الأرضي، فيما عدا القليل منها و الذي اتخذ في الطوابق العلوية لقربه من نساء الدار و كذلك المطبخ و فرن اعداد الخبز.

السلم الصاعد "الدرج": يعتبر من عناصر الاتصال و الحركة التي لا بد منها لربط طوابق المسكن ببعضها، و غالبا ما يتم اختيار مكانها في اقرب مكان لباب المسكن، حيث تقع على يمين او يسار المدخل و الهدف من ذلك الحفاظ على الخصوصية بحيث يكون قربها من المدخل الرئيسي مانعا لدخول الغرباء و كشف خصوصية أهل المسكن، و كان لاختيار هذا الموقع دوره الواضح في جعل "منور السلم" مصدر للإضاءة و التهوية.

- المطامير : إن تخطيط المسكن الصحراوي لا يخلو من عنصر المطامير وهي عبارة عن مخازن تستعمل لحفظ الميرة* من الحبوب و غيرها يطلق عليها اسم بيت الخزين^{٢٨}، وهي تعتبر عنصر هام من عناصر المسكن، وعادة ما تكون هذه الغرفة في الطابق العلوي وذلك حسب ما شاهدناه في الزيارة الميدانية للقصور.

المطبخ: يدخل ضمن عناصر المنفعة، و توجد غالبا في الطابق الأول و لعل ذلك راجع الى أن الطابق الأول هو المستوى الذي غالبا ما يتضمن حجرات المعيشة، كما ان المطبخ يحتاج الى مكان مفتوح بدون سقف نظرا لكثافة الدخان المتصاعد من الموقد "الكانون"، و الذي يعتمد على الحطب وروث الحيوانات لإيقاده و كانت الوسيلة الرئيسية للطهي قديما.

المرحاض: يدخل المرحاض ضمن عناصر المنفعة العامة، و التي لا غنى عنها لما لها من أهمية غنية عن البيان، غير أن هذه النوعية تعتبر من الخطورة بمكان على نوعية هذه العمارة، و من ثم كان يراعى تخصيص مكان جانبي لتوظيفه لذلك، و تقع هذه المراحيض في الطابق الأول من المسكن أو على مستوى ينخفض عنه قليلا وذلك لكي يتم استغلال

اسفله كخزان للفضلات و الذي لا بد أن يطل جدارها الخارجي على الطريق بحيث يسمح موقعه بفتح الخزان و التخلص مما به من الفضلات اما الجدار الداخلي فيطل على الصحن. و يلاحظ ان كثيرا ما كانت المراحيض عبارة عن حفرة بسيطة يوضع بها اناء فخاري لتأدية وظيفة الخزان ،كما كان يراعى ان يكون موقعها مخالفا لاتجاه الريح قدر الإمكان لما هو معروف عن هذه النوعية و ما تسببه من ضرر الرائحة.

* الميرة : الطعام الذي يمتاز به الإنسان، وجلب الطعام للبيع. أنظر: - ابن منظور، المصدر السابق، مجلد ٣، ص ٥٥٤.

^{٢٨} حملاوي علي، نماذج من قصور منطقة الأغواط ، دراسة تاريخية و أثرية، ط١، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية الرغاية الجزائر، ٢٠٠٦، ص ١٦٧.

السطح: (انظر الصورة رقم ٠٢) يدخل السطح ضمن عناصر المنفعة ، و كانت مساحته تمثل مساحة الطابق الذي اسفله ، فهناك ما يشيد به فرن اعداد الخبز، كما انها تستخدم للنوم صيفا، و بعض المساكن بنيت مخازنها بالسطح يتوسطها فناء مكشوف الى جانب المرحاض الذي يتخذ احد اركان السطح ، و يلتف حول السطح جدار عادة ما تعلوه فتحات رأسية تساعد على مرور الهواء و بالتالي تنشيط حركته التي تساهم في تلطيف درجة الحرارة ليلا و نهارا.

وفي هذا الصدد نشير إلى أن المدن الإسلامية جرت العادة فيها على استغلال السطح استغلالاً خاصا في الأغراض المعيشية وخصوصا في فصل الصيف الذي جرت العادة على أن يتحول السطح ليلاً إلى مكان للنوم هروبا من ارتفاع درجة الحرارة^{٢٩}. ومع هذا الاستغلال المكثف للسطح فقد تضمنت الأحكام الفقهية ما يوجه المطالع المؤدية إلى السطح وأبوابه وسترته بحيث لا يكشف الصاعد إلى السطح أو من يكون فوق البيوت المجاورة أو أن تكشف البيوت المجاورة هذا السطح^{٣٠}.

وعلى هذا الأساس فقد جرى التقليد المعماري في المدن الإسلامية القديمة على ستر المطالع والسطح بستره معمارية تجنباً لهذا الكشف وأن وظيفة السترة للسلم أو السطح وظيفة أساسية ترتبط ارتباطاً مباشراً بوقاية أهل البيت ومن ثم لا يمكن استغلال السطح من دون بناء سترة تحقق هذا الغرض^{٣١}.

اهم مواد وتقنيات البناء: تتمثل مادة البناء أساسا في الرمل المستخرج من السبخة و الذي يعرف محليا ب(أغارف) +مادة الطين +الماء.

الطين: يتكون من الصلصال و مشتقاته بنسبة كبيرة من الماء،و قد يحتوي على نسبة كبيرة من المعادن التي تؤدي الى تغيير لونه^{٣٢}، حيث تتميز المنطقة بالطينة الحمراء.

الطوب: هو المضروب من الطين مربعا او مستطيلا ليبنى به،و هو نوعين:
أ_ الطوب المسوى حراريا:(الآجر).

ب_ الطوب غير المحروق (اللين)، و هو واسع الإستعمال في مناطق الجنوب^{٣٣}

الملاط: سائل لزج يتكون من الجير و الرمل و مسحوق الطوب و رماد الأفران، يتم الحصول على الملاط عن طريق خلط كمية من الطين التي تترك داخل الماء لمدة

^{٢٩} - الحسن بن محمد (الوزان المعروف بليون الإفريقي) ، وصف افريقيا، ترجمة د محمد حجي، د محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣، ص ٢٢٨.

^{٣٠} - محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة في العمارة الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط ١٩٨٠م، ص ٣٣٧.

^{٣١} - نفسه.

^{٣٢} توني(يوسف)،معجم المصطلحات الجغرافية،دار الفكر،ط٢،القاهرة،ص ٣٦٦.

^{٣٣} عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي. القاهرة.

تتجاوز الأسبوع حتى تصبح سائل لزج يضاف له المواد السابق ذكرها ثم يخلط جيدا، و يكون جاهز للاستعمال^{٣٤} واستخدم في كسوة بعض الجدران لاسيما الأرضحة في تمنظيط.

الجبس: تطلّى به الجدران، يتم الحصول عليه من اماكن محددة يستخرج من عمق واحد متر تقريبا، بعدها يتم حرقه في أفران متخصصة في درجة ١٥٠٠° و ٢٠٠٠° و يختلف الجير عن مادة "التبشمت" التي هي عبارة عن نوع من الجبس التقليدي مادته الاولية هي عبارة عن حجر الجبس ولونه يكون رماديا^{٣٥}، استعمل عو كذلك في طلاء بعض الجدران.

الخشب: استعمل خشب النخيل لتوفره، و يحرصون على عدم استعمال النخيل المنتج إلا في الضرورة القصوى، فيقومون بانتقاء الأشجار العقيمة، و التي لم تعد صالحة للإنتاج، و يقوم الطياح بقطعها و استخراج المكونات التالية: الجدع و الجريد و الكرناف و الليف.

أ_ الجدع: ساق طى بقواعد الجريد القديمة مما يجعله يمتاز بالخشونة، يتم قطعه طوليا الى ٢ او ٤ اخشاب و تترك اتجف في الهواء لعدة أيام و أخيرا تجرى على الجدوع المقطعة بعض التشديبات للحصول على واجهة مسطحة ملساء، تستخدم خاصة في السلالم، المداخل و الأبواب و غرست على جدران القباب.

ب_ الجريد: يتكون من العصى و السعفة، يتم فصلهما عندما تكون لينة خضراء، تستعمل لأغراض مختلفة في البناء لأنها سهلة الاستعمال و التشكيل خاصة في عمل الأقواس.

ج_ الكرنافة: الجزء الأسفل من الجريد الذي يبق ملتصقا بالجدع بعد ان يتم قطع الجريدة، و يتم فصلها و قطعها وجفها، بعدما تكون صالحة للبناء، تستعمل في التسقيف إذ تساعد و تعمل على غلق الفراغات الموجودة بين الأخشاب.

د_ الليف: يطلق عليه اسم "الفدام"، عبارة عن مجموعة من شبكات الألياف التي تغطي الجزء العلوي من جدع النخلة، بين الكرناف و هذا العنصر يستعمل بكثرة في التسقيف حيث انه ضروري لغلق كل الفراغات و الثغرات الصغيرة، و ذلك بعد تبليله و ثم نشره على شكل بساط في التسقيف^{٣٦}.

^{٣٤} نفسه، ص ٣٦١.

^{٣٥} بن صغير يمينية، قصري تقرت و تماسين خلال حكم فترة بني جلاب، ماجستير ٢٠٠٠-٢٠٠١م، ص ٢١٥.

^{٣٦} رشدي (امين مراد)، "نخلة التمر" الفاو، ١٩٩٠م، ص ٣٨-٣٩.

الطوب: adobe تقنية بناء بالتراب تتمثل في انتاج لبنات ترابية مصقولة باليد أو مقولبة يتم تجفيفها تحت الشمس وتشكل فيها فيما بعد جدران سمكة لها أفضلية التحمل ومعادلها في بلدان افريقيا جنوب الصحراء هو البونكو .

التراب المدكوك Le pise: تقنية بناء بالتربة وتتمثل في انجاز جدران أحادية حامية من خلال التحامها تدريجيا في قوالب أو جدران اسناد من طبقات فوق بعضها البعض ويتم تلحيمها تدريجيا بطريقة يدوية من طرف البناء بمساعدة رجل خشبية أو دكاك

طين القش La bauge: وهي تقنية بناء بالتربة تتمثل في بناء جدران أحادية من خلال تكديس مدرات من التراب في شكل طبقات أفقية فوق بعضها البعض وتسمح هذه التقنية بقولبة الجدران الحاملة دون الاستعانة بقوالب ولا بجدران اسناد.

السياح Le torchis: وهو تقنية بناء تتمثل في انجاز جدران ملء بتربة على هياكل خشبية وتتشكل هذه الجدران من تراكم خليط من الطين ومن ألياف على وجهي مأطورة مفرغين وموصولة بهياكل وحامل من الخشب مكون من تشبيكات أغصان رفيعة من الخشب المرن.

الخاتمة: بناء على ما تقدم يمكننا ان نستخلص أهم مميزات العمارة المدنية بالقصور الصحراوية:

السمات الغالبة عليها جميعًا هي البساطة الهندسية وربما هذا راجع لحياة التقشف التي يعيشها سكان هذه المناطق وعزوفهم عن البذخ والترف وخاصة في هذا المجال، وعلاوة على ذلك فقد غلب استعمال المواد المحلية في عملية البناء على غرار ما هو موجود في المباني الصحراوية.

وعلى العموم يتضح جليا أن التحام هذه البيوت واتصالها فيما بينها ضمن كتلة بنائية واحدة توحى بفكرة البساطة والتواضع في مجال الهندسة المعمارية، وبفكرة التعايش والتعاون في ظل التكاتف والتكافل الاجتماعي، وفي نفس الوقت بأنها نتاج انطلق أساسا من الدوافع الأمنية سواء كانت طبيعية وهي قساوة المناخ، أو بشرية سببت فيها تدهور الأوضاع السياسية والإقتصادية مع انتشار اللصوصية وقطاع الطرق. حيث انعكس ذلك على تنوع الكتل المعمارية بالإقليم (لُقصر، والقصة، والقصة المحصنة).

ومهما يكن من شيء فإن المميزات التي اختصت بها المساكن المنتشرة في الصحراء على عهد السيادة الإسلامية و مساكن قصر تمنطيط على وجه التحديد تنحصر في النقاط التالية:

- ١- غلبت عليها جميعًا الوحدة العمرانية المتسمة بالاتساق والتناسب والتلاصق وهي ظاهرة عمت جميع القصور المدروسة فضلا عن المساكن.

٢- من ناحية الشكل وجدنا المساكن تتشابه حد التطابق مع بعض الاختلافات اليسيرة التي لا تكاد تبين لولا الملاحظة والمقارنة الدقيقة المتفحصة.

٣- احتواء المساكن على الصحن المربع الذي تفتح عليه الغرف هذا دون أن ننسى الأروقة والمعابر التي تتخلل المداخل كما سبق وأن أشرنا إليه فلا نجد داراً يفتح بابها على بهو أو غرفة.

٤- توجيه المبنى نحو الرياح الملطفة صيفاً والدافئة شتاءً فإن كان الجو بارد أضمن المبنى حرارة داخلية هامة تصل إلى كل العناصر المكونة للمبنى بما فيها الأركان والتجويفات وإذا اشتد الحر لا يجد الهواء المنعش عائقاً في الوصول إلى عمق المبنى ويمكننا الوقوف على شيء من هذا التوجيه كما هو الحال في المساكن المدروسة.

٥- وما ينبغي الإشارة إليه أن الأسس تقوم بالنسبة للجدران بالدور الأساسي إذ أنه كلما عمق الأساس كلما زادت المقاومة اللازمة لتحمل ثقل السقف.



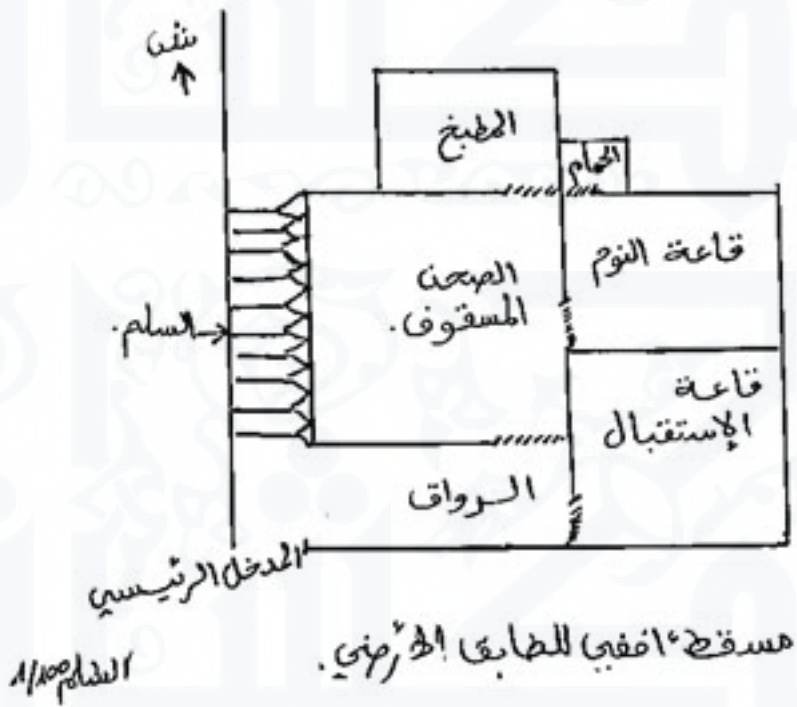
خريطة رقم ١: موقع تمنطيط. عن/موقع Google .



(الصورة رقم ٠١): منظر عام لقصر تمنطيط و تبدو المساكن ذات طابق مع التراص في البنيان و ندرة الفراغات الكبيرة داخل الكتل المعمارية مما جعل المباني مغلقة من الخارج وممتجة إلى الداخل على أفنية داخلية، وممراتها ضيقة والفتحات الخارجية قليلة.

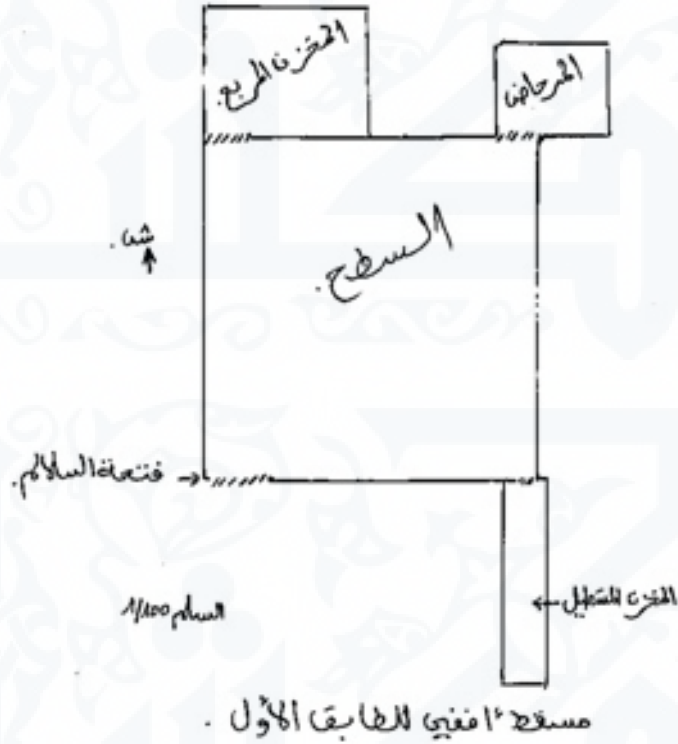


الصورة رقم ٠٢. منظر عام لمسكن ذو طابق.



الشكل رقم ٠١: مسقط أفقي للطابق الأرضي لمسكن. من عمل الباحثة.

يبدو على المخطط بداية الرواق الأرضي المسقوف على يمينه المدخل الرئيسي و قبالة السلم المؤدي للسطح و يميز كل هذه المساكن ،وجود العتبة التي تتقدم كل باب فهي إلى جانب الدور الرمزي (تمثل الحد الفاصل والمانع بين حرمة أهل البيت والغريب عن الدار ،ومما جاء في الأمثال والضوابط الاجتماعية العبارات التالية: اطرق الباب وابق عند عتبة الدار- بيني وبينك عتبة الدار- لا تتعدى عتبة الدار- لا تقعد في عتبة الدار....الخ) و يضاف إلى هذه الضوابط دور آخر جاء تلبية لظروف الطبيعة فمن ذلك تقي الدار من دخول الأتربة المحمولة بالرياح الرملية ، بالإضافة إلى حماية المسكن من تسرب مياه الأمطار والهواء والبرد في الشتاء، كما أنها حاجزا مانعا يصد الحشرات اللادغة والزواحف .



الشكل رقم ٠٢ :مسقط أفقي للطابق الاول و يبدو في احد اركانه المرحاض و المخزن. من عمل الباحثة.

قائمة بالمصادر و المراجع المعتمدة.

أولاً: المصادر:

المصحف الشريف.

__ابن منظور (ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ت ٥٦٢هـ)، لسان العرب، ج٦، الدار المصرية للتأليف و الترجمة .

__ابن بطوطة (ابو عبد الله ابن محمد اللواتي الطنجي ت. ٧٧٦ هـ)، تحفة النظار في غرائب الأمصار، دار بيروت للطباعة والنشر. بيروت ١٩٨٠.

__الحسن بن محمد (الوزان المعروف بليون الإفريقي) ، وصف إفريقيا، ترجمة د محمد حجي، د محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٣.

__محمد بن عبد الكريم البكري، درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام. مخطوط موجود بخزانة المطارفة.

ثانياً: المراجع:

أحمد عمر الكنتي الفهري ، الزوايا الكنتية . مطبوعات البركة . نيامي نيجر د ت .
إسماعيل العربي، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية. بيروت لبنان. ١٩٨١م.

__ رشدي (أمين مراد)، "نخلة التمر" الفاو، ١٩٩٠م.

__سعد عبد الكريم شهاب، انماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، ط١، مصر، ٢٠٠٩م، ص٢١٢.

__عبد الله العروي ، مجمل تاريخ المغرب ، ج١ ط٥ الدار البيضاء المغرب ١٩٥٦.

__عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح حتى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد محمد بن إدريس دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان ط١- ١٩٨٧.

عبد العزيز سالم- تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية. بيروت لبنان. ١٩٨١م.

__عبد الرحمان السعدي، تاريخ السودان. باريس ١٩٦٤.

د. علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية و أثرية، الجزائر، ٢٠٠٦.

__مارمول كاربخال، إفريقيا ، ج١، ترجمة محمد حجي، أحمد التوفيق. مكتبة المعارف سنة ١٩٨٤.

مبروك مقدم، الشيخ محمد ابن عبد الكريم المغيلي واثره الإصلاحي . دار الغرب للنشر ج ١ ٢٠٠٢.

محمد عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البنيان لابن الرامي ، انماط العمارة التقليدية الباقية في صحراء مصر الغربية، ط١، مصر، ٢٠٠٩م.

ثالثا: الرسائل الجامعية.

_بن صغير يمينه، قصري تقرت و تماسين خلال حكم فترة بني جلاب،
ماجستير ٢٠٠٠-٢٠٠١م.

_محمد عبد الستار عثمان، نظرية الوظيفة في العمارة الإسلامية، رسالة دكتوراه
غير منشورة، كلية الآداب بسوهاج، جامعة أسيوط ١٩٨٠م.

رابعا: المقالات.

صالح بن قربة ، (أهمية تبلباله في تجارة المغرب وبلاد السودان خلال العصر
الوسيظ). مجلة العلوم الإنسانية. عدد، ١، ٢٠٠١ ص ص ٨٦-٩٤.

خامسا: المعاجم:

- توني(يوسف)، معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر، ط٢، القاهرة.
- عاصم محمد رزق، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة
مدبولي. القاهرة. ٢٠٠٢م.
- سادسا: المراجع باللغة الأجنبية.

ECHALIER : village désertiques et structures agraires ancienne.

Paris 1972

QUENARD : "Recherche historique dans le touat" bulletin de
liaison sahionne N°02 Alger 1950.

Watin (OI) : origine des population du tuoat d' apris les tradition
conservées dans le pays Bultin de la socrete de géographie
d'alger et de l'afrique du nord 2 eme trmestre 1905 p 213 .